ورميهم بالعقوق .

ألمحنا قبل قليل الى ان المرحوم مندور كان قد استقى من الثقافة العربية القديمة ، ولعل اخص ما أسترفد به من مصادر هاته الثقافة العريقة هو مأثوراتها النقدية سواء منها تلكم الكتب الباحثة في اسس النقد ومبادئه ونظرياته والاخرى المشتملة على الدراسات التطبيقية المترسمة لمنهج محدد له منطلقه وغايته وكذلك الدراسات التي تعظم فيها حصة التاريخ ويضؤل فيها جانب النقد اللماح ، وتعتمد اكثر ما تعتمد على الاستطراد والانسياق في سرد السير وتبيان الاطوار والميول وحتى الحوادث الشخصية ، اذ تفتني بالالماح الى المصادر الموثوقة التي استقت منها تلكم الاخبار الشوارد مما قد يورط في الشعور بالاملال والاحساس بالسأم من القلوب على مطالعة تلكم الدراسات المستقصية بالنسبة للنابتة الجديدة التي لم تعد تقوى على الصبر والريث والجدية في التدارس والتحصيل الادبي ، انما قد تؤثر الخطف والعجالة في قراءة النتاج الضحل الذي لا يحوج استيعابه وتشرب فحواه الى مزيد من كد الذهن وشق الخاطر ، او ان النابتة الجديدة قد لا تمتلك فرط مطاولة الجيل السابق على الصبر في اجتلاء النصوص القديمة دون ان يعتريها الضجر وتحس بالاملال فتدعها عنها جانبا زاهدة فيها قانطة منها.

يتبدى على هذا ان استاذنا الفقيد كان قد عكف على مأثور العرب النقدي واسترفد منه وألم بجماع موحياته ووجهاته وكافة اصوله وفروعه ، واحاط بشكل شمولي نفاذ بخلاصة وافية عن دالات اعلامه وافذاذه ، ووعى جيدا ما كان منه مبتدعا جديدا ، وما كان مرتبطا بمآني الثقافتين اليونانية والفارسية التي امتزج بهما العرب ابان قيام دولتهم الاسلامية واتصلوا بمأثوراتها عن طريق الترجمة والنقل ، وكان ان افرغ جماع تحصيله منه بكتاب بدع في بابه هو « النقد المنهجي عند العرب » تقدم به في استهلالة الاربعينات للحصول على شهادة الدكتوراه بعد قفوله من فرنسا بشهادات اخر منها ما يمت الى التشريع المالي والاقتصاد السياسي ومنها ما يمس الاداب اليونانية والفرنسية ، وكأن كل تلكم الشهادات مجتمعة لم تكن تعادل بحسب العرف الشائع المتداول الدكتوراه التي تكفل لحائزها الانخراط في رعيل اساتذة الجامعات ، وكذا خال البعض ان هاته الشهادة العليا قد لا تكلف مبتغيها اكثر من الانصراف لتأليف كتاب والاستغراق في جمع مادته والتأليف بين عناصرها واجزائها ، والتهيؤ لخوض امتحان فيها ، يعول اكثر ما يعول على المناقشة المستأنية والجدل المستفيض يبتدره بهما الاساتذة الممتحنون ليشهدوا له من بعد بجدارة الأمكان ويؤمنوا على اهليته لحيازة اللقب الفضفاض ، وكذا كثر عندنا اصحاب ـ الدكترة ! ـ وتعددت الاطروحات المصنفة ـ المحفوظة ! ـ وما اطروحة محمد مندور من هذا الصنف الشائع ، اذ هي ليست ببنت النقل الطائل والاقتباس الكثير حيث لا ايماء الى المراجع الاساسية والماح اليها وتعريف بها ، انما هي نتاج الكد والمثابرة وثمرة الجهد الخلاق والعمل المضني وحصيلة الاستغراق في اجتلاء المأثور العريق وتفهمه واستيعابه ، بعناية فائقة وذوق رهيف واستقصاء متأن وقدرة عجيبة على التمييز بين المداليل والاحكام وترجيح ارباء هذه على تلك في الدقة والنصاعة والاحكام . وقد لا يضيرها او يشين بها الاقتباس الطائل المنوه عن مواضعه من صحائف الاثار الاصيلة بقصد تمحيصه وتدارسه واجتلاء غنائه من الصحة والسداد واحتفاله بالقيم الفنية وتأمينه عليها ، فقد ترجح حصة النتاج الشخصي الخلاق فيها على حصة النقل والاقتباس . واشهد ان اطروحة مندور قد تغني الدارسين عن مراجعة تلكم الاثار القديمة التي وان تباينت في الموحيات والايحاءات وتفاوتت في الاحكام والمقاييس التي عول عليها النقد القديم واقام عندها طويلا وتغايرت في الانطباعات والمفاهيم من حين لاخر ، بحسب تباين ثقافة الناقدين انفسهم وتفاوتت نظرتهم وتغاير اذواقهم الفنية ، فهي قد تتشابه وتتماثل الى حد بعيد في طريقة السبك واسلوب التأدية وجادة التعبير ، وكان انتفى الميسم الشخصي في كتابات ذويها ، فعبارة

ـ التتمة على الصفحة ٧٨ ـ

اللقاء الذي لم يتم

(الى موعد الاسكندرية .. في صيف عام مضى)

* * *

لو التقينا قبل ان تميل شمسنا الى الغروب
وقبل ان يسير في نهار عمرنا الشحوب
وترحل الطيور عن اغصاننا .. الى الجنوب
خوفا من الشتاء .. والشتاء عالم رهيب

* * *

لو التقينا حينما جئت الي .. من بعيد
والحب في مروج قلبك الرحيب .. طائر سعيد
وباقة من اجمل الازهار .. عطرها جديد
يسكرني .. فينتشي قلبي .. ويطلب المزيد

* * *

لو التقينا مثلما قدرت موعد اللقاء
ولم يكن في الباب قفل ليس يدرك النداء
أكان ظلانا معا سيصمدان للضياء ؟
وطيرنا لا يزمع الرحيل .. ان بدا الشتاء ؟

* * *

أكنت تمشين معي ـ ولست وحدي ـ في الطريق ؟
أكان نور الفجر يبقى .. والضحى له بريق ؟
أكنت أنت يا رفيقتي بقلبك الرقيق
ترضين لذعة الحريق .. دون لذة الحريق ؟

* * *

لو التقينا .. غير اننا ـ بعد ـ لما نلتق
ولم نعش هذا المدى الا على تفرق
فأوشكت صورة حبنا على التمزق
وكم هتفت ضارعا : بحبنا ترفقي

* * *

شاعرتي : من الملوم الآن ؟ انت ام أنا ؟
أم ان حبنا الكبير ضاع .. ضاع بيننا
وحينما ضاع .. رجعنا الان نبكي حبنا
يا دمعنا .. هل ستعيد حبنا .. يا دمعنا

* * *

مهما يكن فاننا لسنا سوى بشر .. بشر
لا .. بل دمى تحركت .. والخيط في كف القدر
اذا انطلقنا .. فالفضاء هوة ومنحدر
وبعده مصيرنا .. وما لنا منه مفر

* * *

ان كان لا يزال لي في قلبك الحاني مكان
فهذه رسالة .. تشتاق مثلها الحسان
كتبتها بأدمع .. من الحنين والحنان
فان أتيت .. عاد لي ما قد مضى به الزمان
كانما عمر الفراق لحظة .. او لحظتان
وان ابيت .. فالمصير ليس لي به يدان
ولم يزل من دمع قلبي .. دمعة .. او دمعتان

ابراهيم محمد نجا